

## مُعَوِّقَاتُ فِي مُوَاجَهَةِ النَّظَرِيَّةِ الْأَدْبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الحلقة السادسة

د/ علي يوسف اليعقوبي

### الواقعية:

فِي الْبِدَايَةِ يَجِبُ أَنْ تُسَجَّلَ أَنَّ الْوَاقِعِيَّةَ - شَأْنَهَا شَأْنُ كُلِّ الْمَذَاهِبِ الْغَرِبِيَّةِ - جَاءَتْ هَدْمًا لِلرُّومَانِيَّةِ، كَمَا كَانَتْ الرُّومَانِيَّةُ - مِنْ قَبْلُ - هَدْمًا لِلْكَلاسيكِيَّةِ، وَلَيْسَتْ الْوَاقِعِيَّةُ بِأَنْوَاعِهَا الثَّلَاثَةِ "الْأُورُوبِيَّةِ - الطَّبِيعِيَّةِ - الْإِشْتِرَاكِيَّةِ" بِأَقْلَ خَطَرًا، مِنَ الْكَلاسيكِيَّةِ، أَوْ الرُّومَانِيَّةِ، أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْمَذَاهِبِ الْآخَرَى، إِنْ لَمْ تُشَكِّلْ خَطَرًا أَكْبَرَ، فَهِيَ مِنَ الْمُعَوِّقَاتِ الرَّئِيسَةِ فِي مُوَاجَهَةِ الْمَدِّ الْإِسْلَامِيِّ، بِمَا تَنْضُمُهُ مِنْ أَفْكَارٍ، وَمَضَامِينٍ، تَتَنَاقَضُ مَعَ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْكُونِ، وَالْإِنْسَانِ، وَالْحَيَاةِ، وَمَا فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَقَدْ "جَاءَتْ الْوَاقِعِيَّةُ، وَنَشَأَتْ.. لِتَقُولَ بِأَنَّهُ لَا حَقِيقَةَ إِلَّا حَقِيقَةُ الْمَادَّةِ، وَلَا مَوْجُودَ إِلَّا مَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُ"<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ "ارْتَبَطَتْ نَشْأَةُ الْمَذْهَبِ الْوَاقِعِيِّ فِي الْأَدَبِ، بِانْتِشَارِ الْفَلَسَفَاتِ الْوَضْعِيَّةِ، وَالتَّجْرِبِيَّةِ، وَالْمَادِيَّةِ الْجَدَلِيَّةِ فِي أَوْرَبَا، وَقَدْ اِمْتَدَّتْ تَأْثِيرُ هَذِهِ الْفَلَسَفَاتِ إِلَى الْفُنُونِ، وَالْآدَابِ، وَظَهَرَتْ دَعَوَاتُ إِلَى الْاسْتِفَادَةِ مِنْ مُعْطَيَاتِ الْعِلْمِ الْحَدِيثِ فِيهِمَا، وَالْإِهْتِمَامِ بِالْوَقَاعِ، وَتَطْوِيرِهِ، وَتَطْبِيقِ النَّظَرِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ فِي إِصْلَاحِهِ، وَفِي فَهْمِ الْإِنْسَانِ وَطَبَائِعِهِ، وَتَوْجِيهِ الْفَنِّ، وَالْأَدَبِ إِلَى خِدْمَةِ الْمُجْتَمَعِ، وَتَقْوِيَةِ رُوحِ التَّعَاوُنِ بَيْنَ النَّاسِ، وَنَتِيجَةُ لَذَلِكَ أَهْتَمَّ عَدَدٌ مِنَ الْأُدْبَاءِ بِتَصْوِيرِ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَبِالطَّبَقَاتِ الدُّنْيَا الَّتِي أَعْرَضَ عَنْهَا الْكَلاسيكِيُّونَ، وَنَسِيَهَا الرُّومَانِيُّونَ"<sup>(٢)</sup>.

❖ وَقَدْ انْقَسَمَتِ الْوَاقِعِيَّةُ إِلَى ثَلَاثِ وَقَعِيَّاتٍ، هِيَ:

١ - الْوَاقِعِيَّةُ النَّقْدِيَّةُ (الْأُورُوبِيَّةُ)، وَهِيَ تُمَثِّلُ الرُّؤْيَا اللَّيْبَرَالِيَّةَ الْغَرِبِيَّةَ لِلْأَدَبِ، وَتَتَسَمَّى بِبَعْضِ السَّمَاتِ الْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا:

أ - التَّشَاوُؤُ وَالسُّودَاوِيَّةُ: حَيْثُ شَكَّكَتْ فِي كُلِّ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْمَثَلِ الْعُلْيَا، وَرَأَتْ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ زَيْفٌ، وَدَجَلٌ، وَأَنَّ الشَّرَّ هُوَ الْعُنْصُرُ الْأَصِيلُ فِي الْحَيَاةِ.

ب - وَانْطِلَاقًا مِنَ الْجَزْئِيَّةِ السَّابِقَةِ، فَإِنَّ الْوَاقِعِيَّةَ الْأُورُوبِيَّةَ لَا تُصَوِّرُ الْحَيَاةَ بِخَيْرِهَا، وَشَرِّهَا، بَلْ تُرَكِّزُ عَلَى الشَّرِّ وَحْدَهُ، وَجَعَلَتْهُ مَحَوْرَ دِرَاسَتِهَا، لِإِظْهَارِ تَنَاقُضَاتِهِ، وَعُيُوبِهِ، وَهِيَ لَا تَبْحَثُ عَنِ الشَّرِّ لِمُعَالَجَتِهِ، وَالتَّخَلُّصِ مِنْهُ، "وَأَيْمًا هِيَ فِلْسَفَةٌ خَاصَّةٌ فِي فَهْمِ الْحَيَاةِ.. تَرَى الْحَيَاةَ مِنْ مِيزَانٍ أَسْوَدَ"<sup>(٣)</sup>.

(١) د/ محمد شعبان علوان - قراءة جديدة في المذاهب الأدبية الغربية "رؤية إسلامية" - بحوث المؤتمر الثاني لكلية الآداب بجامعة الزرقاء الأهلية - (الأدب الإسلامي الواقع والطموح)، ص ٦٠٤.

(٢) د/ عبد الباسط بدر - مذاهب الأدب الغربي "رؤية إسلامية" - ص ٥٢ - ٥٤.

(٣) د/ محمد مندور - الأدب ومذاهبه - ص ٨٦.

ج - وإمعاناً في روح التشاؤم، فإن الواقعية الأوروبية لا ترى أملاً في الإصلاح، أو تغيير الواقع نحو الأمل، أو الأفضل.

د - وانطلاقاً من الرؤية السابقة، فإنها ترى أن الإنسان مجبور، ولا يمكنه تغيير ظروفه، أو تبديلها، ولهذا فهي لم تحرض الإنسان على تغيير واقعه، ولم تتخذ أية خطوة إصلاحية تجاه ما تُعانيه المجتمعات<sup>(٤)</sup>، ومن أبرز رجالها، الأديب الفرنسي "بلزاك" صاحب "الملهة الإنسانية"، و"الحيوان البشري"<sup>(٥)</sup>.

٢ - الواقعية الطبيعية: وهي مذهب فلسفي يؤمن إيماناً تاماً بما تدركه الحواس، ولهذا لا نراه يُعير اهتماماً بالروحانيات، ولا بالغيبات، ولا يؤمن بما وراء الطبيعة، ويقف في وجه الأديان السماوية... ويعتقد أصحاب هذا المذهب بأن الإنسان جزء من الطبيعة، وأنه إله نفسه<sup>(٦)</sup>، ومن أهم سمات ومميزات هذه الواقعية الطبيعية:

أ - التأثير الكبير بالنظريات العلمية، والدعوة إلى تطبيقها في العمل الأدبي، والاستعانة بالتجارب والأبحاث العضوية، والفسولوجية، لمعرفة حقائق الإنسان العميقة، وحقائق التاريخ، وهذا ما يُفسر محاولة دعاة هذا المذهب إلى توظيف علمي الاجتماع، والتاريخ، وتسخيرهما في خدمة مذهبهم<sup>(٧)</sup>.

ب - النعسف، والمغلاة في النظر إلى الإنسان الذي كرمه الخالق (سبحانه)، حتى رأوا فيه حيواناً تُسيره الغرائز، والحاجات العضوية، ممّا حداً بـ "إيميل زولا" - الذي يرد واقع كل فرد إلى حياته العضوية - أن يطلق على إحدى رواياته اسم "الحيوان البشري"، فالمجتمعات البشرية حيوانات بشرية لا أكثر، والروح غائبة عنهم تماماً، وبذلك انتفت حرية الإرادة، والاختيار عن الإنسان، وبدا وحشاً بشرياً تحركه غرائزه، وشهواته<sup>(٨)</sup>، وعن موقف "زولا" ورؤيته للأعمال الأدبية، وتطبيق المنهج التجريبي عليها، يُعلق الدكتور محمد مندور بقوله: "إن هذا المسلك إذا جاز التعصب له في مجال الفلسفة التي تعتمد على النظريات، والتعميمات، فإن من الخطر التعصب له في مجال الأدب"<sup>(٩)</sup>، فقد كان "زولا" يعاود النظر مرةً تلو أخرى في عناصر أدبه، ويلاحظها ملاحظة العالم لتجربته في معمله، حين يُضيف، ويُنقص من المواد، والعناصر، فكثيراً ما كان

(٤) ينظر/ د. وليد قصاب - المذاهب الأدبية الغربية.. رؤية فكرية، وفنية - ص ٥٩، ٥٨.

(٥) ينظر/ د. عدنان علي النحوي - الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته - ص ٢٧٣.

(٦) د/ عبد الرحمن رأفت الباشا - نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد - ص ٥١.

(٧) ينظر/ د. وليد قصاب - المذاهب الأدبية الغربية.. رؤية فكرية، وفنية - ص ٦١.

وينظر أيضاً/ د/ عبد الرحمن رأفت الباشا - نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد - ص ٥١.

(٨) ينظر/ السابق نفسه: ص ٥٤، ٥٥.

ينظر/ د. وليد قصاب - المذاهب الأدبية الغربية.. رؤية فكرية، وفنية - ص ٦٢.

(٩) د/ محمد مندور - الأدب ومذاهبه - ص ١٠٠.

يُضَيِّفُ "عَنَاصِرَ جَدِيدَةً مِنْ عِنْدِهِ كَالْإِدْمَانِ عَلَى الْخَمْرِ، أَوْ التَّردِّي فِي الرَّذِيلَةِ، أَوْ الشَّهْوَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ، ثُمَّ يُرَاقِبُ ذَلِكَ عَلَى السُّلُوكِ" (١٠).

**ج -** وَلَقَدْ رَكَّزَتِ الْوَاقِعِيَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ عَلَى أَمْرَاضِ الْمُجْتَمَعِ، وَأَدَوَائِهِ، وَشُرُورِهِ، وَخُصُوصًا الطَّبَقَاتِ الدُّنْيَا، وَالْفَقِيرَةِ "فَرَاخَتْ تُشْرِحُ تِلْكَ الطَّبَقَاتِ، وَتَبْسُطُ آفَاتِهَا؛ مِنْ فَقْرٍ مُدْقِعٍ، وَشَهْوَةٍ، وَشُدُوزٍ جِنْسِيٍّ.. أَيَّ أَنَّهَا اخْتَارَتْ مِنَ الْوَاقِعِ أَسْوَأَ مَا فِيهِ، وَمِنْ الْحَيَاةِ شَرَّ عَنَاصِرِهَا" (١١).

### ٣ - الْوَاقِعِيَّةُ الْاشْتِرَاكِيَّةُ (١٢):

تُرَكِّزُ الْوَاقِعِيَّةُ الْاشْتِرَاكِيَّةُ عَلَى مَضْمُونِ الْعَمَلِ الْأَدَبِيِّ، وَوُضُوفِهِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ بِشَكْلِ وَاضِحٍ، حَيْثُ "يَكْمُنُ جَوْهَرُ مَفْهُومِ الْوَاقِعِيَّةِ الْاشْتِرَاكِيَّةِ، فِي جَعْلِ فِكْرَةِ "الْاشْتِرَاكِيَّةِ" غَايَةً يَجِبُ أَنْ يَسْتَهْدِفَهَا أَيُّ عَمَلٍ فَنِّيٍّ جَدِيرٍ بِالْانْضِواءِ تَحْتَ عُنْوَانِ "الْوَاقِعِيَّةِ الْاشْتِرَاكِيَّةِ" بِحَيْثُ يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى جَعْلِ وَظِيفَةِ الْعَمَلِ الْفَنِّيِّ تَحْتَلُّ مَوْقِعَ الصَّدَارَةِ بَدَلًا مِنْ طَبِيعَتِهِ" (١٣)، وَلِهَذَا فَإِنَّ الْوَاقِعِيَّةَ الْاشْتِرَاكِيَّةَ تَرَى "أَنَّ الْأَدَبَ هُوَ أَحَدُ ثَمَارِ الْحَيَاةِ الْاِقْتِسَادِيَّةِ، وَلِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَخْدُمَ الْمُجْتَمَعُ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ النَّظَرِيَّةِ الْمَادِّيَّةِ الْجَدَلِيَّةِ، وَالتَّارِيخِيَّةِ، وَالْفِكْرِ الْمَارْكَسِيِّ عَامَّةً، وَيُنَالُ صِرَاعَ الطَّبَقَاتِ حَظًّا وَافِرًا مِنْ اِهْتِمَامِ الْأَدَبِ الْاشْتِرَاكِيِّ، وَيُعْتَبَرُ "مَكْسِيمُ جُورْكِ" عَلَى رَأْسِ أَدْبَاءِ الْوَاقِعِيَّةِ الْاشْتِرَاكِيَّةِ" (١٤).

### ❖ أَهَمُّ مُلَامِحِ الْوَاقِعِيَّةِ الْاشْتِرَاكِيَّةِ:

وَلَعَلَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَوْلِ أَنْ تُؤَكَّدَ أَنَّ الْوَاقِعِيَّةَ الْاشْتِرَاكِيَّةَ فِي الْأَدَبِ، قَدْ انْطَلَقَتْ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْمَارْكَسِيَّةِ، فَهِيَ تُعَبِّرُ "عَنِ الْإِيدِيُولُوجِيَا الشُّيُوعِيَّةِ، وَمَوْقِفِهَا مِنَ الْكُونِ، وَالْإِنْسَانِ، وَالْحَيَاةِ، وَهِيَ لَا تَقْلُ زَيْغًا، وَانْحِرَافًا عَنِ الْوَاقِعِيَّةِ الْأُورُوبِيَّةِ الَّتِي مَثَلَتْ الْمُجْتَمَعَ الرَّأْسِمَالِيَّ، بَلْ تَزِيدُ عَلَيْهَا أَنَّهَا قَائِمَةٌ عَلَى الْإِلْحَادِ، وَالتَّشْكُرُ لِلْأَدْيَانِ جَمِيعًا، وَتَعُدُّهَا تَخْلُفًا، وَرَجْعِيَّةً" (١٥)، وَقَدْ عَبَّرَ الْعَدِيدُ مِنَ الشُّعْرَاءِ عَنْ هَذِهِ الرُّوحِ الْعَدَائِيَّةِ الْمُلْحَدَةِ، كَصَلَاحِ عَبْدِ الصَّبُورِ، وَالسِّيَّابِ، وَمَحْمُودِ دَرُوشٍ، وَمُعِينِ بَسِيَّسُو.. وَغَيْرِهِمُ الْكَثِيرُ. وَيَتَغَنَّى صَلَاحُ عَبْدُ الصَّبُورِ بِ"لُورْكَا" الشُّيُوعِيِّ الْأَسْبَانِيِّ، فَيَقُولُ:

لُورْكَا..

نَافُورَةُ مِيدَانِ

(١٠) د/عبد الرحمن رأفت الباشا - نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد - ص ٥٥.

(١١) د/وليد قصاب - المذاهب الأدبية الغربية.. رؤية فكرية، وفنية - ص ٦٢.

(١٢) وعلى الرغم من أن الواقعية الاشتراكية لا تأتي في التسلسل الزمني بعد الواقعية الطبيعية، وإنما سبقتها مذاهب أخرى كالرمزية مثلاً، إلا أننا أدرجناها في هذا السياق، كي يكون حديثنا عن أنواع الواقعيات في مكان واحد، وفي بحث واحد، ومن أجل أن تتضح الفوارق بينها، وقد يسميها البعض بالواقعية الجديدة، وهي من مدارس القرن العشرين، التي نشأت في روسيا عقب قيام الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م.

(١٣) منتديات أسواق المريد - فنون روسيا وسحر الواقعية - [www.merbad.net](http://www.merbad.net)

(١٤) د/عدنان علي النحوي - الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته - ص ٢٧٣.

(١٥) د/وليد قصاب - المذاهب الأدبية الغربية.. رؤية فكرية، وفنية - ص ٧٥.

ظِلٌّ وَمَقِيلٌ لِلْأَطْفَالِ الْفُقَرَاءِ  
لَوْرِكَ قَلْبٌ مَمْلُوءٌ بِالنُّورِ الرَّائِقِ  
عَلِمٌ لِلشُّجْعَانِ

إِلَى أَنْ يَقُولَ:

أَمَّا الْكَلِمَاتُ الْحُلُوةُ وَالْمَمْرُورَةُ  
فَقَدْ انْسَابَتْ جَدَوَلٌ  
يَمْضِي حَيْثُ سَقَطَتْ، وَعَضَّ التُّرَابُ فَمَكَ  
حَتَّى يُغْفِي فِي حُضْنِ اللَّهِ الْغَاضِبِ  
قَتَلُوا آخِرَ أَبْنَاءِ الرَّبِّ <sup>(١٦)</sup>

وَهَاهُوَ يُوسُفُ الْخَالُ يَهْزَأُ بِالْخَالِقِ (جَلَّالَهُ)، وَيَتَطَاوَلُ عَلَى ذَاتِهِ الْعَلِيَّةِ، فَهُوَ مُشَرَّدٌ، تَائِهٌ،  
هَائِمٌ، بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُرْشِدُهُ، وَيَمُدُّ لَهُ يَدَ الْعَوْنِ:

وَاللَّهُ فِي دِيَارِنَا مُشَرَّدٌ  
يُودُّ لَوْ أَنَّ يَدًا جَرِيئَةً  
تَعِيدُهُ <sup>(١٧)</sup>

وَيَقُولُ مُعِينٌ بِسَيِّسُو:

لَمْ يَبْقَ سِوَى اللَّهِ  
يَعْدُو كَغَزَالٍ أَخْضَرَ تَتَبَعُهُ كُلُّ كِلَابٍ الصَّيْدِ  
وَيَتَبَعُهُ الْكَذِبُ، عَلَى فَرَسٍ شَهْبَاءٍ  
سَنَطَارِدُهُ، سَنَصِيدُ لَكَ اللَّهُ  
مَنْ بَاعُوا الشَّاعِرَ يَا سَيِّدَتِي  
سَيَبِيعُونَ اللَّهَ.. <sup>(١٨)</sup>

وَيَقُولُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، يَتَقَمَّصُ فِيهِ دَوْرَ اللَّهِ - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ عَلَوًّا كَبِيرًا - :

وَوَشَى بِي قَدِيسٌ  
كَانَ اللَّهُ مَعِي  
لَكِنَّ اللَّهَ هُنَاكَ يُدَلِّي بِشَهَادَتِهِ  
فِي مَرَكَزِ بُولِيسٍ  
- فَتَحِ الْمَحْضَرُ  
- مَا اسْمُكَ؟  
- كَمْ عُمْرُكَ؟

(١٦) صلاح عبد الصبور - ديوان - ط ١ ص ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠.

(١٧) يوسف الخال - الأعمال الشعرية الكاملة - ط ٢، ص ٣٣٠.

(١٨) معين بسيسو - الأعمال الشعرية الكاملة - ط ٣، ص ٣٤١.

– مَا عَنْوَانُكَ..؟

– مِهْنَتُكَ...؟

وَكَانَتْ مِهْنَتُهُ...اللَّهُ

أَخَذُوا بِصَمَاتِ اللَّهِ

وَالْتَقَطُوا صُورَتَهُ

كَانَ اللَّهُ مَعِي <sup>(١٩)</sup>

أَمَّا الْبَيَّاتِيُّ فَقَدْ نَصَّبَ نَفْسَهُ مُدَافِعًا عَنِ الْفُقَرَاءِ، وَالْمَظْلُومِينَ، فَهَاهُوَ يُنَادِيهِمْ، وَيَهْيَبُ بِهِمْ أَنْ يَهْبُوا، وَيَنْتَفِضُوا، وَيَتَحَدَّوْا:

يَا فَقَرَاءَ الْعَالَمِ الْمُنْهَوْبِ

اتَّحِدُوا

يَا فَقَرَاءَ الْعَالَمِ الْمُنْهَوْبِ <sup>(٢٠)</sup>

وَهَاهُوَ يَسْخَرُ، وَيَنْدُمُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ اسْتِعَانَةٍ بِاللَّهِ (تَعَالَى)، حَيْثُ يَقُولُ:

مَجْنُونًا كُنْتُ أَنَادِي بِاسْمِكَ كُلِّ الْأَسْمَاءِ

كُلِّ الْمَعْبُودَاتِ وَكُلِّ زَهْوَرِ الْغَابَاتِ، وَكُلِّ الرَّبَّاتِ

كُلِّ نِسَاءِ الْعَالَمِ فِي كِتَابِ التَّارِيخِ، وَفِي كُلِّ اللَّوْحَاتِ

كُلِّ حَبِيبَاتِ الشُّعْرَاءِ

مَجْنُونًا كُنْتُ أَنَادِي اللَّهَ <sup>(٢١)</sup>

وَهَكَذَا تَتَضَعُ الْمَلَامِخُ الْفِكْرِيَّةُ لِهَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءِ، فَقَدْ دَمَّرُوا كُلَّ قَدَاسَاتِ الدِّينِ، وَالْقِيَمِ، وَالْأَخْلَاقِ، وَتَحْتَ ذَرِيْعَةِ الرَّمْزِ.. رَاحُوا يَنْتَقِصُونَ، وَيَتَعَدَّوْنَ عَلَى كُلِّ الْمُقَدَّسَاتِ، وَالْمُحَرَّمَاتِ... وَمِمَّا ثُرِكَزُ عَلَيْهِ الْوَاقِعِيَّةُ الْاِشْتِرَاقِيَّةُ كَذَلِكَ:

**أ –** أَنَّهَا تُرَكِّزُ عَلَى أَنَّ الْاِقْتِصَادَ هُوَ الْمُحَرِّكُ الرَّئِيسُ لِكُلِّ الْأَنْشِطَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَبِمَا أَنَّ الْأَدَبَ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الْأَنْشِطَةِ؛ فَهُوَ "تَابِعٌ لِلنَّشَاطِ الْاِقْتِصَادِيِّ"، أَيْ أَنَّ الْأَدَبَ، وَالْفَنَّ عُمُومًا؛ هُمَا اِنْعِكَاسٌ لِلْحَيَاةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، وَكَأَنَّ الْمَادَّةَ هِيَ الْأَصْلُ، وَهِيَ تَسْبِقُ الْوَعْيَ" <sup>(٢٢)</sup>.

**ب –** اهْتَمَّ الْوَاقِعِيُّونَ الْاِشْتِرَاقِيُّونَ بِتَصْوِيرِ الصَّرَاعِ الطَّبَقِيِّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّأْسْمَالِيِّينَ، فَقَدْ جَعَلُوا الْبُرْجُوزِيَّةَ هِيَ مَصْدَرُ كُلِّ شَرٍّ فِي الْحَيَاةِ، فَدَعَاوُا إِلَى إِدَانَتِهَا، وَكَشَفِ عْيُوبِهَا، وَالْاِنْتِصَارِ لِلْعُمَّالِ، وَالْفَلَاحِينَ، وَإِظْهَارِ جَوَانِبِ الْخَيْرِ، وَالْإِبْدَاعِ، وَالتَّبَشِيرِ بِاِنْتِصَارِهِمْ، وَغَلَبَتِهِمْ، وَمِنْ هَذَا

(١٩) معين بسيسو – الأعمال الشعرية الكاملة – ط٣، ١٩٨٧، ص ٤٤٠.

(٢٠) عبد الوهاب البياتي – ديوان – ط٤، مج ٢، ص ٢٥٢.

(٢١) السابق نفسه: مج ٢، ص ٢٩٥.

(٢٢) ينظر/ آن جفرسون وديفيد روبي – النظرية الأدبية الحديثة، ترجمة سمير مسعود ص ٢٤٧، ٢٤٨.

المنطلق يُعدُّ الواقعيون الاشتراكيون هذا المذهب متفائلاً، ويُرجح جانب الخير على جانب الشر (٢٣).

**ج -** وانطلاقاً من النقطة السابقة، تُحاول الواقعية الاشتراكية تصوير الحياة وكأنها في حالة صراع مستمر، "فهناك عداءٌ أزلي بين الغني والفقير، بين صاحب المصنع، ومرؤوسيه، بين مالك الأرض، والفلاحين" (٢٤).

**د -** من الواضح أن الواقعية الاشتراكية ليست حيادية تجاه الواقع، مثل الواقعية النقدية، بل هي صاحبة موقف، وفلسفة، تجاه هذا الواقع، حيث تصوّره، وتبرز تناقضاته، من أجل تحريك الجماهير، والثورة عليه (٢٥).

ولم يكن لهذا التيار الاشتراكي ليمرّ على أدبنا، وأدبائنا مرور الكرام، فقد تأثر شعربنا العربي الحديث بهذا الاتجاه الشيوعي الماركسي تأثراً واضحاً، تمثّل في أشعار كثير من الشعراء الذين راحوا يتحمسون وراء شعاراته الثورية البراقة، حتّى وصلت ثورتهم على كل شيء، فولدت قصيدة "الشعر الحر"، وسرعان ما لمعت في سماء هذا المذهب أسماء لبست مسوح هذا الاتجاه، وراحوا يتكلمون بلسانه، ويعشقون أفكاره، ومبادئه، ومنهم: بدر شاكر السياب، البياتي، الفيتوري، درويش، سميح القاسم، توفيق زياد... إلخ، ومضى أولئك الشعراء يمجّدون رموز الماركسية الشيوعية من أمثال ماركس، ولينين، وجيفارا، ولوركا، وغيرهم من الرموز... كل ذلك تحت ذريعة مواكبة العصر الثوري في الإصلاح، وتحقيق العدالة، إذ - وحسب رؤيتهم - فمن غير المعقول أن يعتزل الأدباء العرب ذلك التيار العالمي المؤثّر، والمستمد من واقع الحياة... وأن يسايروا بالأخذ والعطاء هذا الاتجاه الأدبي العالمي، وأن تظهر بصمات الواقعية الاشتراكية على إنتاجهم، في صورة واقعية ثورية ماركسية، هزت العالم بقواعد علمية صادقة لفهم الكيان الاجتماعي، وحقيقة تطوره" (٢٦).

ومن هؤلاء الشعراء الذين راحوا يستظلون بالمظلة الشيوعية؛ عبد الوهاب البياتي، الذي وجد في موسكو ضالته، ومأواه الذي يسكن إليه، ووطنه الذي يحنو عليه، فرأى يتغنّى بها ويقول:

لو أستطيع

لأكلت عيني

وانتظرتك في الجليل

وصرخت أني لست يا موسكو وحيد

مادام قلبك يحتوي (٢٧)

(٢٣) د/عبد الباسط بدر - مذاهب الأدب الغربي "رؤية إسلامية" - ص ٥٧.

(٢٤) د/ وليد قصاب - الحداثة في الشعر العربي المعاصر - ص ٤٤.

(٢٥) د/ وليد قصاب - المذاهب الأدبية الغربية.. رؤية فكرية، وفنية - ص ٦٥.

(٢٦) د/ رشيدة مهران - الواقعية واتجاهاتها في الشعر العربي المعاصر - ط ١، ص ١٨٨.

(٢٧) عبد الوهاب البياتي - ديوان - ط ٤، ج ١، ص ٤١٩.

أَمَّا عَنِ الثَّوْرَةِ الْحَمْرَاءِ، فَلَا مَجْدَ إِلَّا تَحْتَهَا، وَلَا رَايَةَ إِلَّا رَايَتُهَا:

المجد للإنسان  
لعالم يولد تحت الراية الحمراء  
تحت راية العمال  
يا رفيقنا تيلمان<sup>(٢٨)</sup>

هَذَا وَقَدْ نَصَّبَ الْبَيَّاتِيُّ نَفْسَهُ إِمَامًا لِلْفُقَرَاءِ، وَالْكَادِحِينَ، وَالْعَمَّالِ، وَرَاحَ يُبَشِّرُ بِثَوْرَتِهِمْ، وَيَدَافِعُ عَنْ حُقُوقِهِمْ، حَتَّى يَحْظَى بِلَقَبِ الشَّاعِرِ "الثَّوْرِيِّ.."، فَفِي "عِشْرُونَ قَصِيدَةً مِنْ بَرَلِينَ" يَلْتَزِمُ الْبَيَّاتِيُّ الْبَسَاطَةَ، وَالْوُضُوحَ، فِي التَّعْبِيرِ عَنْ قَضَايَا الْعَمَّالِ، وَالْخُبْزِ، وَالْمُسْتَقْبَلِ:  
صَوْتُ لَيْنِينَ الْأَخْضَرِ الْعَمِيقِ لَا يَزَالُ

يَهْدُرُ فِي الْعَالَمِ  
وَالرَّايَاتُ فِي الْجِبَالِ  
تَسُدُّ دَرْبَ الشَّمْسِ  
وَالْآلَاتُ  
وَالْأَنْوَالُ  
أَسْمَعُهَا  
تَنْبُضُ فِي قُلُوبِكُمْ  
يَا إِخْوَتِي الْعَمَّالِ<sup>(٢٩)</sup>

وَيَقُولُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ قَصِيدَةٍ "إِلَى ذِكْرَى دِيمِتْرُوفِ":

مَسِيحُنَا بِلَا صَلِيبٍ  
كَانَ فِي صِرَاعِهِ الرَّهِيْبِ  
يُوقِدُ أَلْفَ شَمْعَةٍ فِي لَيْلِنَا الْمُعَذِّبِ الْكَثِيبِ  
أَلْفُ يَهُودَا  
حَوْلَهُ كَانُوا  
وَلَكِنْ يَدُ الشُّعُوبِ  
أَقْوَى مِنَ الْمَوْتِ  
وَمِنْ مَحَاكِمِ الْفَاشِسْتِ  
وَالْتَعَذِيبِ<sup>(٣٠)</sup>

(٢٨) السابق نفسه: ص ٣٢٩.

(٢٩) عبد الوهاب البياتي - ديوان - ط ٤، ج ١، ص ٣٤٣.

(٣٠) السابق نفسه: ص ٣٣٤.

إِنَّهُ بِسَاطَةِ شَاعِرٍ شُيُوعِيٍّ مُلتَزِمٍ، يَعتَبِرُ الغُمُوضَ مِنْ مُخَلَّفَاتِ الذَاتِيَّةِ البُرْجُوازِيَّةِ السَّاقِطَةِ، وَتَنَاقُضَاتِ العَقْلِ البُرْجُوازِيِّ الضَّائِعِ " (٣١).

كَمَا نَرَى مُحَمَّدَ الْفَيْتُورِيَّ قَدْ رَاحَ يُغْنِي مَأسَاةَ إفْرِيقِيَا، الَّتِي عَكَسَ مِنْ خِلَالِهَا رُوحًا حَاقِدَةً، نَاقِمَةً، عَلَى الضَّعْفِ...، عَلَى الظُّلْمِ...، عَلَى الظَّالِمِ..، وَمُعلنًا ثَوْرَتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَخُصُوصًا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ، فَهُوَ فِي نَظَرِهِ، وَنَظَرِ كُلِّ مَارْكَسِيٍّ (صَادِقٍ) يَتَّبِعُ خُطَا لِينِينَ، أَفْيُونُ الشُّعُوبِ:

وَلْتَنُ الْمَوْتَ عَبْدٌ  
وَلْتَنُ الظُّلْمَ عَبْدٌ  
وَلْتَنُ الْقَدَرَ السَّيِّدَ عَبْدٌ يَتَّالِهِ  
وَالنُّبُوتُ مُضِلَّةٌ  
وَالدِّيَانَاتُ تَعْلَتُ  
هَبْ مِنْ كُلِّ ضَرِيحٍ فِي بِلَادِي  
كُلُّ مَيِّتٍ مُنْدَثِرٍ  
كُلُّ رُوحٍ مُنْكَسِرٍ  
نَاقِمًا عَلَى الْبَشَرِ  
كُلُّ أَعْدَاءِ الْبَشَرِ  
كَافِرًا بِالسَّمَاءِ، وَبِالْقَضَاءِ، وَالْقَدَرِ (٣٢)

وَهَكَذَا مَضَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ يُرَدِّدُونَ تِلْكَ الْأَفْكَارَ الْغَرِيبَةَ، وَأَصْبَحْنَا نَسْمَعُ نَعْمَاتٍ، وَمَصْطَلَحَاتٍ كَالْفَقْرِ، وَالْكَدْحِ، وَالْبَرْوِيلِيَّاتِيَا، وَصَرَاعِ الطَّبَقَاتِ، وَثَوْرَةِ الْعُمَّالِ وَالْفَلَاحِينَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقَوَالِبِ الَّتِي لَا يَجُوزُ لِلشَّاعِرِ أَنْ يَخْرُجَ عَلَيْهَا، وَإِلَّا حُرِمَ لَقَبُ الشَّاعِرِ الثَّوْرِيِّ، حَيْثُ تَرَكْتَ تِلْكَ الْقَوَالِبَ بَصِمَاتِهَا وَاضِحَةً عَلَى شِعْرِنَا الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ، فَكَانَ "السِّيَابُ"، وَعَبْدُ الصَّبُورِ، وَالْفَيْتُورِيُّ، وَالشَّرْفَاوِيُّ، كَانُوا يَنْتَظِمُونَ، أَوْ يَلْتَزِمُونَ بِالمَارْكَسِيَّةِ (٣٣)، وَيَصْدُرُونَ عَنْهَا، وَتَحَوَّلَ الْإِلْتِمَامُ إِلَى الْإِلْزَامِ، وَإِكْرَاهٍ، وَوَعِيدٍ لِمَنْ يُخَالِفُ تِلْكَ الْقَوَاعِدَ.

#### ❖ قِرَاءَةٌ فِي الْوَاقِعِيَّةِ:

بِدَايَةُ يَجِبُ التَّنْوِيهِ إِلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ وَجَّهَ اتِّبَاعَهُ إِلَى ضَرُورَةِ الْإِهْتِمَامِ بِالْإِنْسَانِ، وَقَضَايَاهُ، وَمُشْكَلاتِهِ، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمُعَالَجَةُ، وَهَذَا الْإِهْتِمَامُ ضِمْنَ قَالِبٍ أَدَبِيٍّ نَظِيفٍ، فَهَذَا أَمْرٌ يُحِبِّدُهُ الْإِسْلَامُ، وَيَحْتُّ عَلَيْهِ، وَقَدْ دَعَا (ﷺ) إِلَى ضَرُورَةِ أَنْ يُشَارَكَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ هُمُومَهُ، وَمُشْكَلاتِهِ، "فَمَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ"، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ إِبرَازِ صُورِ التَّلَاحُمِ،

(٣١) د/ رشيدة مهران - الواقعية واتجاهاتها في الشعر العربي المعاصر - ص ٢٠٣.

(٣٢) محمد الفيتوري - أغاني من أفريقيا - ط ٢، ص ٦٥.

(٣٣) حنا عبود - واقعية ما بعد الحرب، في الأدب، والنقد، والشعر - ص ١١٧.



وَالْتَعَاطُفُ، وَالتَّعَاضُدُ، فَالاهتمامُ بِأُمُورِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، ضِمْنَ مَنْهَجِ إِسْلَامِيٍّ، وَتَصَوُّرٍ وَاضِحٍ؛ أَمْرٌ مُقْبُولٌ، بَلْ يُشَجِّعُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ.

وَفِي الْمَقَابِلِ، وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى الْوَاقِعِيَّاتِ الْغَرِيبَةِ، وَجَدْنَاهَا تَهْتُمُ - أَيْضًا - بِأُمُورِ الْحَيَاةِ، وَقَضَايَا الْمُجْتَمَعِ، وَلَكِنَّ الْمَفَارِقَةَ هِيَ أَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعِيَّاتِ تَسْتَمِدُّ مِنْهَا، وَتَصَوِّرُهَا مِنْ فَلَاسِفَاتٍ بَشَرِيَّةٍ، وَتَصَوِّرَاتٍ قَاصِرَةٍ وَمُنْحَرِفَةٍ، تَتَعَارَضُ مَعَ طَبِيعَةِ الْمَنْهَجِ الْإِسْلَامِيِّ الرَّبَّانِيِّ، الَّذِي يَسْتَعِدُّ قُوَّتَهُ، وَنَفَاقَهُ، وَشَفَافِيَّتَهُ مِنَ الْوَحِيِّينَ، وَفِيمَا يَلِي عَرَضٌ لَهُمْ جَوَانِبُ الْخِلَافِ:

**أَوَّلًا:** يَرَى الْوَاقِعِيُّونَ "عَلَى اخْتِلَافِ اتِّجَاهَاتِهِمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ يَدِينُونَ بِهِ، وَأَنَّ الْحَيَاةَ مَادَّةٌ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِمَا وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ، وَالْأَدِيبُ الْإِسْلَامِيُّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَدِينُ بِأَنَّ الطَّبِيعَةَ.. هِيَ مِنَ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ (سُبْحَانَهُ)" (٣٤).

**ثَانِيًا:** مِنَ الْمُلَاحَظَةِ أَنَّ الْوَاقِعِيَّيْنِ: الْإِنْتِقَادِيَّ، وَالطَّبِيعِيَّ "تُبْرِزَانِ صُورَ الشَّرِّ، وَالْفَسَادِ فِي الْمُجْتَمَعِ، لِإِضْرَامِ الثَّوْرَةِ فِيهِ، وَتَغْيِيرِ قِيَمِهِ.. غَيْرَ أَنَّهُمَا لَا تُقَدِّمَانِ أَيَّ بَدِيلٍ لِهَذِهِ الْقِيَمِ، وَلَا تَمْلِكَانِ مِنْهَا مُحَدَّدًا لِبِنَاءِ مُجْتَمَعٍ سَلِيمٍ، وَلَا تَعْرِضَانِ صُورَةَ مَا بَعْدَ الثَّوْرَةِ" (٣٥)، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ يَكُونُ الْهَدْمُ غَايَةً فِي حَدِّ ذَاتِهِ، وَهَذَا مَا لَا يَقْبَلُهُ الْفِكْرُ الْإِسْلَامِيُّ الْإِيجَابِيُّ، الْقَائِمُ عَلَى أَسَاسِ الْبِنَاءِ، وَالْعَطَاءِ، فِي كُلِّ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ.

**ثَالِثًا:** "الْوَاقِعِيَّةُ الْإِشْتِرَاكِيَّةُ وَاقِعِيَّةٌ مَمْسُوخَةٌ فِي حَقِيقَتِهَا، لِأَنَّهَا تَأْخُذُ فِي حِسَابِهَا الْوَجْهَ الْمَنْظُورَ لِلْإِنْسَانِ، وَتَرْفُضُ الْاعْتِرَافَ بِالْوَجْهِ الْآخَرِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ - الْوَجْهِ الرُّوحِيِّ - وَهِيَ فِي هَذَا تَتَسَاوَى مَعَ مَنْ يَرْفُضُ الْاعْتِرَافَ بِوُجُودِ وَجْهِ آخَرَ لِلْقَمَرِ لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ، أَمَّا الْوَاقِعِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَتَتَجَاوَزُ الْبَصَرَ إِلَى الْبَصِيرَةِ، فَتَرَى بَعَيْنَهَا الثَّاقِبَةَ الْمُتَزَوِّدَةَ بِنُورِ اللَّهِ، مَا لَا يُمَكِّنُ لِلْعِلْمِ بِأَرْقَامِهِ، وَقَوَانِينِهِ الْأَرْضِيَّةِ أَنْ يَرَاهُ" (٣٦)، وَلَعَلَّ هَذِهِ السِّمَّةَ مِنْ أَهَمِّ مَا يُمَيِّزُ الْمُسْلِمَ عَنِ غَيْرِ الْمُسْلِمِ، الَّذِي يَعِيشُ حَالَةً مِنْ عَدَمِ التَّوَازُنِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِالذَّاتِ.

**رَابِعًا:** بِاسْتِقْرَاءِ أَنْوَاعِ الْوَاقِعِيَّةِ الثَّلَاثِ، نَخْلُصُ إِلَى أَنَّ الْوَاقِعِيَّةَ الطَّبِيعِيَّةَ قَدْ رَدَّتْ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى طَبِيعَتِهِ، فَسُلُوكُ الْإِنْسَانِ، وَفِكْرُهُ صَدَى لِتَرْكِيبِهِ، وَطَبِيعَتِهِ، وَلَا تُؤْمِنُ إِلَّا بِمَا يَقَعُ تَحْتَ الْحَوَاسِّ، وَالْوَاقِعِيَّةُ الْإِشْتِرَاكِيَّةُ، تَرَى أَنَّ الْأَدَبَ هُوَ أَحَدُ ثِمَارِ الْحَيَاةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ، أَمَّا الْوَاقِعِيَّةُ النَّقْدِيَّةُ (الْأُورُوبِيَّةُ) فَإِنَّهَا - وَانْطِلَاقًا مِنْ نَظَرَتِهَا الْوَاقِعِيَّةِ لِلْحَيَاةِ - تُرَكِّزُ عَلَى الشَّرِّ وَحْدَهُ، وَجَعَلَتْهُ مَحَوْرَ دِرَاسَتِهَا، لِإِظْهَارِ تَنَاقُضَاتِهِ، وَعُيُوبِهِ، فَهَذِهِ الْمَغَالَاةُ، وَهَذَا التَّطَرُّفُ فِي تَقْدِيرِ الْوَاقِعِ، يَرْفُضُهُ الْإِسْلَامُ، فَالْإِسْلَامُ يَجْعَلُ لِلْوَاقِعِ مَنَازِلَتَهُ الْأَمِينَةَ وَالْعَادِلَةَ، وَالْوَاقِعُ هُوَ مَيْدَانُ مَمَارَسَةِ مَنْهَاجِ اللَّهِ.. لِيُنْمِيَ إِيمَانَ الْمُسْلِمِ، وَيُثَبِّتَ يَقِينَهُ، وَالْوَاقِعُ هُوَ مَصْدَرٌ مِنْ مَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ

(٣٤) د/عبد الرحمن رأفت الباشا - نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد - ص ٤٨.

(٣٥) د/عبد الباسط بدر - مذاهب الأدب الغربي "رؤية إسلامية" - ص ٦٠.

(٣٦) د/أحمد بسام ساعي، في كتابه: الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، ط ١، ص ١٧.

المصدر الوحيد، ولا هو مصدر الحق المطلق، والواقع بهذا الفهم الحي، المتحرّك، النامي، هو الذي يدفع أدباً يعرف الواقع، ويفهمه<sup>(٣٧)</sup>.

**خامساً:** وتتأغماً مع كل المذاهب الغريبة التي تسعى إلى هدم القيم، والمثل، الفاضلة، فإن "أرباب هذا المذهب قد حولوا مبادئهم إلى أعمال أدبية شوّهت صورة الإنسان، وعبّثت بالقيم، والمثل، وألحّت في دعوة الشباب، والشابات، إلى التخلّص من الأخلاق.. ثمّ زعموا بأنهم إنما دعوا إلى ذلك ليفتحوا عيون الشباب المغمضة، ويصّرونها بالحقائق التي تخفى عليهم.. ثمّ إن الشباب الذين يقرؤون هذا الأدب إمّا تأبى عليه عزّته، وكرامته، وسمو أخلاقه، أن يسلك هذا المسلك، فيعروه اليأس، ويحلّ به القنوط من تحقيق أماله، فينطوي على ذاته، وإمّا شباب يدفعه الطموح، والرغبة الملحة في بلوغ الثراء من أقصر السبل، فيسلك تلك المسالك المشينة التي زينها له الأديب"<sup>(٣٨)</sup>، وفي كلّ ما سبق فالإسلام يرفض أن تكون الخسة ذكاءً، والإثم عبقريّةً، ليحقّق المرء من خلالهما المجد، والشهرة، والمال، كما أنّ الإسلام يرفض أن يصل الأمر بالإنسان إلى درجة اليأس، والقنوط من تحقيق أماله، وطموحاته، لأنّه إنّما جاء ليفتح باب الأمل، والتفاؤل أمام الناس جميعاً، والشباب بشكل خاصّ.

(٣٧) ينظر/ د. عدنان علي رضا النحوي - الأدب الإسلامي إنسانيته، وعالميته - ص ٢٧٣، ٢٧٤.

(٣٨) د/عبد الرحمن رأفت الباشا - نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد - ص ٥٠، ٥١.